الدّرس الأوّل: التعليميات:Didactiques/Didactics

1_المصطلح و المفهوم:

التعليميّة بممارساتها قديمة جدّا، لكنّها بتأسيسها النّظري والاصطلاحي حقل حديث النشأة نسبيّا. وقد انتقل هذا العلم إلى السّاحة التربويّة العربيّة وشهد اهتماما مميّزا.

التعليميات جمع كلمة تعليمية، وتمّ صياغتها على منوال لسانيات ورياضيات، ...وتعليمية مصدر صناعي للمصدر تعليم من الفعل علّم أي وضع علامة على الشيء لتدلّ عليه أو وسمه بها، ولهذا المصطلح الذي يقابل Didactique في الفرنسية مقابلات مختلفة في اللغة العربيّة، منها: الديداكتيك، علم التدريس، التدريسية، علم التعليم،...

وهي كلمة مشتقّة من الأصل اليوناني DIDAKTIKOS بمعنى موهوب في التدريس، وتعني في أصلها "درّس أو علّم"، واصطلاحا تعني كلّ ما يهدف إلى التثقيف وله علاقة بالتعليم"، وتُعرّف بأنّها "الدّراسة العلميّة لطرق التدريس وتقنياته ولأشكال تنظيم مواقف التعلّم التي يخضع لها المتعلّم لبلوغ الأهداف المسطّرة سواء على المستوى العقلي المعرفي [أم] الانفعالي الوجداني [أم] الحسّي الحركي والمهاري"(محمد الدريج).

وكما هو ملاحظ يردُ المصطلح بصيغة المُفرد تعليميّة، وتعليميّات بصيغة الجمع، وهو ناتج عن نقاش بين أهل الاختصاص بخصوص مشروعيّة التفكير في تعليميّة عامّة مع الاعتراف بوجود تعليميّات خاصّة، حيث يميّزون بين نوعين من التعليميّات:

أ_التعليميّات العامّةDidactique Générales:

يعرّفها برنار شناولي Bernard Shneuwly بالقول:" الديادكتيكات العامة هي نماذج نظرية تجمع بين جميع العوامل التي تؤثر على عملية التدريس والتعلم في إطار مدرسي أساسًا، وهي: السياق الاجتماعي، والأهداف العامة للتعليم، والمحتويات، والعلاقة بين المعلم والمتعلم، وطرق التدريس..."، فهي التي تهتمّ بمختلف القضايا التربويّة، وبالنّظام التربوي برمّته مهما كانت المادة، وهي بهذا تهتمّ بكلّ ما هو مشترك وعام في تدريس جميع الموادّ، أي أنّها تهتم بجوهر العملية التعليمية والأهداف والمبادئ والقوانين العامّة المتحكّمة فيها، وهي تمثّل الجانب النّظري للعمليّة التعليمية وتعليمية المواد الخاصّة هي الجانب التطبيقي لها مع مراعاة خصوصيّة كلّ مادّة.

ب_التعليميات الخاصّة Didactiques spécifiques :

تبحث في المسائل التي يطرحها تعليم مختلف المواد، فهي خاصّة بالمواد الدراسية. وتهتم بتخطيط العملية التعليمية التعلمية لمادة خاصة ولتحقيق مهارات خاصة وبوسائل خاصة لمجموعة خاصة من المتعلّمين، فتخضع كلّ تعليميّة إلى منطق المادّة الدراسيّة التي تنتمي إليها.

2_ النشأة والتطوّر:

_ فنّ التعليم: ظهر استعمال كلمة ديداكتيك لأوّل مرّة سنة 1613م بمفهوم فن التعليم في نص وولفغانغ راتيشيوس" تقرير موجز عن الديداكتيك أو فن التعليم"، وبعدها مع كومينيوس في كتابه" الديداكتيك الكبرى" سنة 1657.(Schneuwly Bernard. Didactique : quelques notes sur son histoire. In: La Lettre de la DFLM, ;n°7, 1990. pp. 22-24)

وهي عنده" الفنّ العامّ للتعليم في مختلف المواد"، ويُعدّ كومينيوس من أهم واضعي أسس الديداكتيك الحديث، وإذا كان القرن السابع عشر قرن الديداكتيك، فإنّ القرن الثامن عشر كان قرن البيداغوجيا وعلم التربية الذي يركّز بشكل أكبر على الفرد، وبعدها أعاد ويلمان مصطلح الديداكتيك مرّة أخرى من خلال كتابه"الديداكتيك كعلم التربية" سنة 1882، وفي أوائل القرن19 مع الفيلسوف هربرت الألماني وُضِعت الأسس العلمية للتعليمية كنظرية للتعليم تستهدف الفرد، تخص ما يقوم به المعلم فقط من نشاطات. وتطوّرت بعدها العديد من النماذج الديداكتيكيّة، واعتبر الديداكتيك العام/ التعليميات العامّة فيما بعدُ مجالا مستقلا من مجالات علوم التربية.

_من فنّ التعليم إلى نظريّة التعليم:

في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر تيار جديد في التربية بزعامة "جون ديوي" 1952 أعطى الأهمية لنشاط التعلّم في العملية التعليمية واعتبر التعليمية نظرية للتعلُّم لا للتعليم مستبدلا المفاهيم الهربارتية بتطوير النشاطات الخاصة بالمتعلمين وانحصرت وظيفة التعليمية في تحليل نشاطات المتعلم، وأن التعلم وظيفة من وظائف التعليم.

_ التفاعل بين التعليم والتعلم:

نتيجة لتطور البحث في التربية أثناء القرن العشرين اتضح أن النظرة الأحادية لمفهوم التعليمية عند كل من هربرت، وجون ديوي كانت نظرة قاصرة لأنهما فصلا التعليم عن التعلم وأكدت تلك الدراسات أن نشاطات كل طرف في العملية التعليمية يربطها التفاعل المنطقي مع الطّرف الآخر.ومن ثمة فإن هذا الفهم الجديد للعملية التعليمية أدى إلى اعتبار التعليمية نظاما من الأحكام والفرضيات المصححة والمحققة ونظاما من أساليب تحليل وتوجيه الظواهر المتعلقة بعمليتي التعليم والتعلم.

والخلاصة فإن التعليمية هي أسلوب بحث يُعنى بدراسة "التفاعلات التي تربُط بين كلّ من المدرّس والمتعلّم والمعرفة داخل مجالٍ مفاهيميّ معيّن، وذلك قصد تسهيل عمليّة تملُّك المعرفة من قِبل المُتعلّمين" ، وهي عند البعض مقاربة لظواهر التعليم وتحليلها ودراستها دراسة علمية موضوعها الأساسي البحث في شروط تنظيم وإعداد الوضعيات التعليمية / التعلمية.

3_ موضوعها:

قبل ستينيات القرن العشرين، خاصة في إطار تكوين المعلمين، كانت الديداكتيك تُفهم أساسًا على أنها مجموعة من الطرائق التعليمية. وكانت هذه المقاربة تُركّز على الجانب الإجرائي: كيف نُحضّر الدرس؟ كيف نُدرّس؟ كيف ننقل المعارف؟ وهو توجه عملي، مبرَّر من منظور الحاجة إلى تزويد المعلمين المستقبليين بمعرفة حول كيفيّة التعليم.

لكن اليوم تبيّن أن هذا الفهم الإجرائي للتعليمية محدود جدًا، ولا يُغطي إلا جزءًا بسيطًا من طبيعتها، ولم تعد تقتصر التعليمية المعاصرة سواء العامة أم المتخصصة على الطرائق بل صارت تشير إلى الوضعية التعليمية بكامل أبعادها، حيث تضمّ:

- ✓ المتعلّم (الفاعل)
- ✓ المعلم (الوسيط/الموجّه)
- ✓ المعرفة (الموضوع)
- ✓ السياق (الوسط)

وكل ذلك في تفاعل دائم، مع مراحل تشمل:

- ✓ التخطيط
- ✓ التنفيذ
- ✓ التقويم والتنظيم الذاتي.

وبهذا المفهوم، فإن "الديداكتيك يُمكن أن يُعرّف على أنه مجال علمي له موضوع خاص هو الوضعية البيداغوجية، وهو ما يُميّز الديداكتيك العام عن غيره من الديداكتيكات التخصصية أو التطبيقية، ويمنحه طابعًا أساسيًا (fondamental) يُشرف على البنيات الأخرى".

وبذلك يكون موضوع التعليمية قد تحوّل من:

_الاهتمام بالتعليم (الستينيات).

_إلى الاهتمام بالتعلّم (السبعينيات والثمانينيات).

_وبعدها إلى الاهتمام بالتفاعل بين التعليم والتعلّم وبين معارف ثلاثة هي:

-المعرفة العلمية.

-المعرفة الموضوعة للتدريس.

-المعرفة المتعلمة

مبادئ التعليميّة العامة:

- ✓ ضرورة رفض أي اختزال للعلاقة الديداكتيكية، مثل:
- ✓ التركيز فقط على المعرفة (كما يفعل بعض الديداكتيكيين التخصصيين)
- ✓ التركيز فقط على المتعلم (كما يميل بعض علماء النفس التربوي)
- ✓ أو التركيز فقط على المعلّم وطريقته (كما يفعل بعض التربويين التقليديين)

4_ أهداف التعليمية العامّة:

- ✓ تحديد الأهداف العلميّة بشكل إجرائي وعلمي.
- ✓ تصميم منهجيّات تدريسيّة بطريقة صحيحة للمعلمين، ابتداء من الهدف إلى كيفيّة تحقيقه في سلوك المتعلّمين.
- ✓ تقديم اقتراحات عمليّة للمعلّمين حول كيفية تحسين ظروف التعلّم في كلّ اتجاهاته ومواقفه.
- ✓ الاهتمام بعمليّة التكوين المستمر للمعلّمين، بهدف إطلاعهم على المستجدّات العلمية لتجاوز الصّعوبات.

أهداف التعليمية الخاصة:

- ✓ وضع الشبكات الوصفيّة التحليلية للخطأ.
- ✓ تصميم جداول توضيحيّة تساعد المتعلّم في تمثّل المعارف بسهولة.
- ✓ تصميم بطاقات الملاحظة الفرديّة لمراقبة الأداء القبلي والبعدي للمتعلّم، وتساعد في عملية التقويم.